ويؤكد إقبال في مواضع مختلفة من كتاباته، على أن المعرفة الصوفية، مجال لا يمكن تجاهله.[1]

وكما يذهب الدكتور عثمان أمين إلى: أن إقبالًا ينزع نزعة جوانية داخلية في نظرته إلى المعرفة والرياضة الدينية، وأن العقل والحدس، أو الفكر والإلهام ليسا متنافرين كما يتوهم المتوهمون.[2]

ولا شك أن الإلهام تجربة روحية واقعية، وعلى الرغم من أن الإلهام لا يمكن أن يكون مصدرًا عامًا للمعرفة، إلا أن الفلسفة باعتبارها تنظر إلى الحقيقة الواقعة في شمولها، ولا يجوز للفلسفة أن تتجاهل التجربة الروحية.[3]

وفي ختام عرضنا نستطيع القول إن مفكرنا، حاول أن يؤسس للمعرفة على ضوء استفادته من القرآن الكريم، «العقل المؤمن» هذا من جانب، ومن جانب آخر إفادته من المناهج والدراسات الغربية قد أديا به، أن يفرز لنا نسيجًا جديدًا ينم عن فكر مبدع خلاق.

نقد الغربيين لفلسفة إقبال:

أثارت فلسفة إقبال العديد من وجهات النظر في الشرق والغرب، ما بين مؤيد ومعارض، خصوصًا أنه اتضح لنا بما لا يدع مجالًا للشك، حسه النقدي في معالجة القضايا والمشكلات، فلعله من المستحسن هنا أن نعرض لبعض هذه الانتقادات ولموقف مفكرنا منها، إذ إنه من خلال الردود ربما نجد ما

(1) محمود حمدي زقزوق: تمهيد للفلسفة ، الناشر دار المعارف، طبعة رابعة، ص162.
(2) محمد إقبال: تجديد الفكر الديني، ص31 - 74.
(3) عثمان أمين: محمد إقبال، ص12.

يـروي ظمأنا أكثر في سـبر غور الحقيقـة عند إقبال، ومحاولـة تفهمه بصورة أكثر وضوحًا.

ومن أول الانتقادات التي وجهت إلى مفكرنا إقبال أن فلسـفته قائمة على تعظيـم القوة والدعوة إليها، كفلسـفة «نيتشـه» الفيلسـوف الألماني، وبأنها فلسفة ليست إنسانية عامة، بل تخاطب أمة من الناس هي أمة المسلمين.[1]

ويرد إقبال بكتابه إلى «نيكلسـون» بقوله: إن بعض النقاد الإنجليز رأى مشـابهة ظاهرية بين أفكاره وأفكار «نيتشـه» فوقعـوا في غلط كبير. ويرد على من زعم أنه أخذ نظرية الإنسان الكامل من نظرية «نيتشه» في الإنسان الذي سماه فوق البشر (Superman) ويقول إنه كتب قبل ثلاثين سنة، مقالًا عن الإنسـان الكامل عند الصوفية ولم يكن حينئذ اطلع على كتب «نيتشه» ولا سمع باسمه.[2]

وفي الحقيقة أن مفهوم القوة عند مفكرنا تختلف اختلافًا بينًا عن مفهومها عند «نيتشـه»، فالقـوة عند إقبال نابعة من الفهم الإسـلامي، التي تقيم الحق والعـدل بين الناس جميعًـا، قال تعـالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة: 256].

﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ ﴾ [الممتحنة: 8]، هذا هو الفهم الصحيح في معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسـلامي، بالعدل والقسطاس المستقيم، ويبدو أن الذين وجهوا سـهام النقد إلى مفكرنا إقبال لم يعرفوا حقيقة فلسفة القوة في الإسلام، فهي

(1) د. محمود حمدي زقزوق: المرجع السابق، ص157.
(2) د. عبد الوهاب عزام: محمد إقبال ص 125.

القوة التي ترعى الحق، لا القوة المستبدة والمتحكمة في رقاب العباد!، في حين أن القوة عند نيتشة، إنه يريد بها القوة فقط، أي الحرية بلا قيد أو شرط، ولتفعيل القوة بعد ذلك ما تشاء.[1]

ويعترض مستر «دكسن» على فلسفة إقبال ويتهمها بأن دائرتها محدودة، وإن كانت أصولها عامة.[2]

ويرد إقبال على هذا الزعم، بأن الإسلام ليس من الضيق كما توهم «دكسن»، فالتعليم الإسلامي لا يخص قبيلًا دون قبيل، ولكن يقصد إلى أخوة البشر كافة، فهو يدعو الناس إلى التعاون والتآخي، وأن يغفل في هذا السبيل ما بينهم من اختلاف جزئي. قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 64][3].

ويعتقد مفكرنا إقبال أن الخطأ الذي وقع فيه البعض في الغرب عدم فهم الإسلام الفهم الصحيح، إذ اعتقد البعض أن الإسلام دين قتل وسفك للدماء، وفي الحقيقة أن الإسلام جاء للناس جميعًا لا يفرق بين لون أو قوم أو وطن، جاء ليقيم سلطان الله على الأرض، ويعطى للناس حرياتهم دون نظر إلى نسب أو وطن.[4]

ويمضي مفكرنا إقبال في تفنيد مثل هذه المزاعم والأباطيل، ولكن ما

(1) د. عبد الوهاب عزام: محمد إقبال، ص126.
(2) المرجع نفسه: ص، ص125.
(3) المرجع نفسه: ص 126.
(4) د. نازلي إسماعيل حسين: الفلسفة المعصرة سنة 1982 ص97.

يلاحظـه الباحث أن مفكرنا إقبال يتصـف بالموضوعية في ردوده وأقواله إلى حد كبير، ولندلل على ذلك أيضًا بأنه أثناء رده على مسـتر دكسن الذي أشرنـا إليه آنفا يقول: لا أنكر أن المسـلمين خاصموا وحاربوا وسـخروا الأقطار وأن بعض سـلاطينهم ألبسـو مطامعهم لبـاس الدين، ولكن علي يقين أن الفتح والتسـخير ليسـا من مقاصد الإسـلام، بل أعتقد أن الفتوح عاقـت نماء النظـام المبارك، نظام الشـورى، الذي نجد أصولـه في القرآن والحديث.[1]

ويؤكد إقبال، على أن الإسـلام رسالة عالمية، ويخاطب الكينونة البشرية في فطرتها السـوية، دون إكراه أو بغى علي أحد، إن في فطرة الإسـلام مزايا تيسر له أن يبلغ أوج الظفر، انظر إلى الصين مثلًا فيها من المسـلمين عشرات الملايـين دخلـوا في الإسـلام بالدعوة، وما كان المسـلمين في الصين سـلطان سـياسي، وفي هذا برهان على أن الإسـلام يفتح القلوب بغير سـلطان سياسي ودون إكراه.[2]

وينتهـي إلى رأى في هذا الصدد نعتبره مـن المنهجيات المهمة عند مفكرنا فيقول: «قد طالعت فلسـفة العالم أكثر من عشرين سنة ففي وسعى أن أدلى بقولي بريئًا من التعصب وأن أنقد حوادث العالم غير متحيز».[3]

(1) محمد إقبال: تجديد التفكير الديني ص128.
(2) نفس المرجع ص128.
(3) نفس المرجع ص129.

الخاتمة والنتائج

يمكننا القول، إن هذا البحث قد سلط الضوء على النزعة النقدية عند مفكرنا إقبال وانتهى إلى النتائج الآتية:

(1) أثبت هذا البحث أن النزعة النقدية من أخص خصائص فكر محمد إقبال، ومن ثم فهو يتمتع بحس نقدي أصيل.

(2) أن مفكرنا يقدم النقد من أجل البناء والتأسيس، وليس النقد للنقد وحسب.

(3) فلسفة الذات عند إقبال، هى الذات الكاشفة العارفة لا الذات الفانية في المطلق- كما يعتقد بعض الصوفية - فهى «الذات» المتحركة الدائبة في البحث لا الذات الساكنة.

(4) تتمحور فلسفة إقبال حول دور «الذات» في الحياه وفي الوجود، وهو يعتقد أن الذات الفاعلة هى الخليقة بالحياة والوجود، وأن الذات التى لم تؤد الدور المنوط بها في الحياة هى ذات المنعدمة أو الذات الخامدة!!

(5) يعتبر البعد الصوفى من الأبعاد الرئيسية في فلسفة إقبال، ولا يعنى هذا أن فيلسوفنا يلغى دور العقل ولا يؤمن به - بالعكس تمامًا - ففيلسوفنا غالبًا ما يدعم رأيه ببراهينه العقلية والفلسفية، لكن في حدود معينة أن العقل لن يستطيع الوثوب إلى الحقيقة الكاملة ولا بد من المعرفة الذوقية أو الإلهامية.

(6) الذات..، الآخر، فعلاقة الـذات بالآخر في فكر إقبال علاقة انفتاح تأخذ وتعطي، تتفاعل وتتناغـم، ولعل هذا سر عبقرية هذا المفكر، فهـو يمثـل الفكر المفتـوح لا الفكـر المغلـق، واسـتطاع بعبقريته الفكريـة أن يوائم بـين «الأصالة» و«المعـاصرة» في تعادلية لا يخل هذا بذلك.

(7) يمثل محمد إقبال عالمية الفكر، فقد أثبت هذا البحث أن إقبالًا عالمي الفكر، فهو لا يفضل جنسًا على جنس أو وطنًا على وطن، و إنما ينظر إلى عالمية الرسالة الإسلامية وهو يريد الذات الإنسانية التى تتعاون مع الإنسـانية جمعاء، فخطابه و إن كان موجهًا إلى الأمة الإسـلامية إلا أنه حريص أشـد ما يكون الحرص على خير وسـعادة الإنسـانية جمعاء.